حضارة الروح

بقلم المعلم الانطاكي الشماس اسبيرو جبور

يوحنا فم الذهب خطيبُ المسيحية الأكبر، ذكَرَ في بعضِ خِطَبِه التقدُّم الحضاري الذي حصلَ بعد ظهور المسيحية. فالحياة الروحيَّة والأخلاقيَّة إنقلبَت رأس على عقِب بقدومِ المسيحية.

كانت الفلسفة اليونانية هي الطاغية في حوض المتوسِّط ومسيطرة على العقول والأفهام، ولكن في عاصِمتها أثينا فما كان نوع الديانة؟ مَرَّ بولس الرسول في أثينا في العام 49 للميلاد، فوجَدها مدينةً للأصنام. لم يتركوا شيئاً إلّا وصَنَعوا له صَنَماً. عندهم آلهة أُنثويَّة. إِحتاروا في إختراع الآلهة، فصنعوا صَنَماً للاله المجهول. لم يستطع افلاطون وسقراط وارِسطو أن يُزيلوا من أثينا عِبادة الأصنام. فضلاً عن ذلك لم تكن الأخلاق في العهد اليوناني – الروماني ذات رِفعة كبيرة. وضعُ المرأة لم يكن جيداً وفي كتابي " المرأة في نظَر المسيحية" نصوصٌ وقوانينٌ يونانية تُثبِت أن أثينا لم تكن أخلاقياً على مستوىً كبير جداً.

في العالم اليوناني والروماني كان الشذوذ الجنسي مُتفشٍّ، وصادوم وعامورة كانا في عزِّهِما. في الحوض المتوسِّط كانت عبادة الأصنام موجودة ما عدا في فلسطين وروما. كانت عبادة الأمبراطور ذات

طقوس، وكان اليهود يحملون على ظهرهم العهد القديم. والعهد القديم أكبرُ شاهدٍ على ضُعفهم الروحي والديني وإن كان الأنبياء والآباء قد ظهَروا منهم، وإن كان في أيام المسيح بعض الأتقياء كسمعان الشيخ ويوسف الخطيب ويواكيم وحنّة جدّي الاله، وبعض مَن ذَكَرهم إنجيل لوقا على لِسان النبيّة حنّة التي حضَرت دخول الرب يسوع الى الهيكل وأخذت تُبشِّر بيسوع كلُّ مَن ينتظر فداءً في إسرائيل.

ولكن، إن راجعنا نصوص التوراة وجدناها غاضبةً على الشعب الإسرائيلي وعلى مساوئِه. وفي المزمور 54 شكوى من إنتشار الفساد والرشوة والغش في التعامل في أورشليم. نعرف من كلام الرب يسوع المسيح أن أورشليمَ مدينة لا تُرضي الله، فقال له المجد " يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسَلينَ اليها، كم من مرة أردتُ أن أجمعَ بنيكِ كما تجمع الدجاجة فراخَها تحت جناحَيها وانتم لم تُرِدوا، هوذا بيتُكم يُترَك لكم خراباً " .

وفي مواضعٍ أُخرى من الإنجيل نرى يسوع صاعداً الى أورشليم لأنه كان ينبغي أن يموت في أورشليم. وكلٌ مَن يموت من الأنبياء يجب أن يموت في أورشليم. قال "قاتلة الأنبياء وراجمة المرسَلين".

نعرف كيف اورشليم صَلَبَت المسيح، وقتلَت يعقوب إبن زبَدة، ورجمَت الشماس إستيفانوس، وحاربت المسيح ورسالَته ورُسُلَه. إنتقلَت رسالة الرُسُل الى العالم الوثَني. ونعرف من رسالة بولس الرسول الأولى الى أهل كورنثوس أن تبشير الإنجيل بصليب يسوع المسيح كان إنتصاراً للصليب على فلسفة اليونان. تعثّر اليهود الرافضين للصليب، فصرّح بولس " قد حَكمتُ أَني لا أريد أن أعرفَ بينكم شيئاً إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً ".

إن الإنجيل طمَسَ الفلسفة اليونانية، والناموس اليهودي. والناموس اليهودي نفسُه هو الديانة اليهودية نفسَها. والديانة اليهودية ماذا فيها؟ لا شكّ أن في جوانبِها في كلام الأنبياء روائع. ولكن كممارسة لديانة العهد القديم فهي قبائح، فالوثنيُّون كانوا يذبحون الحيوانات ويُقدِّمونَها قرابين. التعلُّق في هيكل أورشليم، وتقديس هيكل أورشليم، وتعليق كلُّ شيءٍ على وجود هيكل أورشليم هو شيءٌ اساسيٌّ في اليهوديّة.

وماذا قال الرب في هيكل أورشليم؟ قال لرُسُلِه الأطهار " لن يبقى منه حجر على حجر " وهكذا زال في السنة السبعين و لم يبقى منه حجر على حجر تقريباً. مكانُ عبادَتهم زال، ناموسُهم الطقسي وذبائحُهم وعوائدُهم في الطعام والشراب والحرام والحلال، طمَسَها الرب كلّها. فلم تعُد هناك حيوانات دنِسَة أو أشياء ماديَّة دَنِسة.

الرب يسوع مع أعمال الرسل وبولس الرسول في وضوحٍ كامل " ما يدخل الفم لا يُنجِّس الإنسان ". وفي رؤيا بطرس الرسول في الفصل العاشر من أعمال الرسل " كلٌّ خليقة الله طاهرة "، وفي بولس الرسول

" كلٌّ خليقة الله طاهرة ". فما من حيوانٍ نجِس، ولا من شيءٍ نَجِس، ولا شيء يتعلّق بالجسد نجِس. يتنجّس الجسد بسبب نجاسة الروح. فإن تنجّست الروح، تنجّسَ الجسد تِبعاً لذلك. فلذلك قال كيريلوس الإورشليمي وسواه من الآباء إن الخطيئة مرتبطة بالإرادة وبطبيعة النفس البشرية، فالجثة لا ترتكب خطايا لأنها بلا روح. الجسد يشترك في الخطايا اذا كان متّحداً بالروح. متى خرجت الروح فهو مادة، حجر، جثّة.

الروح اذن هي المهمة. والرب يسوع قال في الفصل السادس من إنجيل يوحنا " الجسد لا يُجدي نفعاً الروح هو الذي يُحيي". فاذن، الجسدُ تابعٌ للروح، وحضارة الجسد هي حضارةٌ ماديَّة. ليس للجسد حضارة، إنما الروح تصنع الحضارة والمدنية وكلّ شيءٍ، إنما الجسد يشترك في ذلك.

المخترعون الكبار، هل إخترعوا جسدياً أم بالفِكر؟ الفِكر هو المبدُع، هو المخترِع. هل إخترع الحيوانُ شيئاً من يوم ما وجِدَ على الأرض حتى يومِنا هذا؟ ما إخترعَ شيئاً وليس عنده عقلٌ مُبتكر. الإنسان هو المبتكر. المسيحيَّة وجَّهت الأنظار الى السماء، وجَّهت الإبتكار الى عالم الروح بدون إهمالِ الجسد. الكنيسة ليست ضدَّ العِلم وليست ضد المدَنيَّة والحضارة والثقافة بالمعنى المدَني المعروف اليوم في العالم، ولكنَّها تعلَم أن كل ناطحات السَحاب وكل المركبات الفضائية وكل المعامل وكل ما قامَهُ الإنسان على الأرض ينتهي بنهاية هذا العالم، يومَ تحترق العناصر ويتركُه الإنسان ويموت. الذين جمعوا الثروات الطائلة أين هم؟ في التراب. خرَجت روحُه فعادت الى أرضِه. أفادَ بإختراعاتِه وأعمالِه، ولكن هل عاشَ روحياً؟ إن لم يصنع شيئاً لروحِه فكلُّ شيءٍ

قد ذهبَ في التراب. المهم، الإرتفاع روحياً دون إهمال ما للأرض، ولكن ما للسماء هو المهم لأنه خالد وأَبدي.

فاذن، جاءت المسيحيَّة تُنادي بحضارة الروح. وحضارة الروح هي تطهير الروح من كل الأضرار الروحيَّة لتلتصق بالله روحياً. والإلتصاق بالله يحتاج الى جهادٍ روحيٍّ كبير، الى أخلاقٍ سامية جداً، الى تخلُّص الإنسان من كلِّ ما هو فاسد. وهذا يتطلّب جهاداً كبيراً لأن الجسد يجذِبُنا الى الأرض ونحن يجب أن ننجذب الى السماء لا الى الأَرض.

نحن موجودون في الأرض ولكن يجب أن ننجذب الى السماء. قانون الجاذبية الطبيعي يجذُبنا الى عمق الأرض، الى مركز الأرض ولكن هناك جاذبية روحيَّة أُخرى تجذُبنا الى السماء. يسوع المسيح الجالس عن يمين الآب هو مركز الجاذبية الحقيقية الذي يجذُبنا الى السماء لا يجذُبُنا الى مركز الأرض، يجذُبنا الى المطلَق الى الاله صانع السماء والأرض وكلّ ما فيهما.

هذه الجاذبية موجودة في الإنسان، يبقى التفعيل على الإنسان. على الإنسان أن يُفعِّل طاقاتِه الروحيَّة لكي يجذُبَه الربُّ يسوع الى السماء.

في الفصل الرابع من الرسالة الأولى الى أهل تسالونيكي جاء أن في يوم ظهور الرب يسوع المسيح سنُخطَف لنُلاقي الرب الآتي على السحاب. هذا الإنخطاف الى السماء هو المهم، والباقي ثانوي.

انا لا أرفض الأمور الأخرى ولكن الإنجذاب لملاقاة الرب، هذا هو الشيء المهم بصورةٍ مُطلَقة. هذه آخرة الإنسان، أن يُلاقي الرب. هذا هو الأمر المهم وباقي الأمور كما قال الرب يسوع " أُطلبوا أولاً ملكوت السماوات وبرَّه وكلُّ ذلك يُزادُ لكم" . الإنسان ماهرٌ ومبتكر، وقادرٌ على الإختراع في الدنيا، ولكن هذا تابعاً وليسَ أصيلاً. الأصيل هو الرب يسوع المسيح وملكوت السماوات. هذا هو الأمر الأصيل، أن نُلاقي الرب. بدون ذلك، ماذا ينتفع الإنسان لو ربِحَ العالم كلّه وخسِر نفسَهُ؟ ماذا إنتفعَ الأغنياء من المليارات التي تركوها في الأرض؟ هل أخَذوا معهم شيئاً بعد الموت وأين صاروا بعد الموت؟ اللهُ وحدَه يعلم. مَن إتّقى الله منهم صار مع الله ومَن لم يتّقِ الله منهم صار حيث يعلم الله.

انا لا أحتقر المال ولا أحتقر الموجودات من باب الإحتقار، انا أُنادي بالزهد لا أنادي بالإحتقار. المؤمن الحقيقي يزهد بكل هذا العالم، كل

هذا العالم موجود وكأنه غير موجود. يستعمل هذا العالم وكأنه لا يستعملهُ، يملُكه وكأنه لا يملكه، هكذا علّمَنا بولس الرسول.

لذلك فالمسيحيَّة هي حضارة الروح. علّمَت البشر المحبة. العهد القديم علّم المحبة ولكن الفرق كبير جداً. نموذج المحبة في العهد الجديد هو أن الله أحبَّ العالم فبذَلَ إبنَه الوحيد، هو أن الربَّ يسوع أحبَّنا فبذَلَ نفسَه من أجلِنا وعلّمنا أن نبذِلَ أنفُسَنا من أجل بعضنا بعضاً كما هو بذلَ نفسَه من أجلنا.

علّم بولس الرسول الرجال في الفصل الخامس من أفسس أن يبذلوا أنفُسَهم من أجل نسائهم. هذا هي المحبة. المحبة هي بذلُ الذات، وبذلُ الذات يعني التخلُّص من الأنانية تخلُّصاً مطلقاً. ومَن يستطيع أن يتخلّص من أنانيَّتِه بدون النعمة الالهية؟ فاذن، المسيحية أتَت بشيءٍ جديد وهو أن الله يبذِلَ نفسَه من أجل الإنسان.

فكرةُ الله في العهد القديم متسامية جداً. في العهد الجديد الله يأتي الأرض ليحتضنَ الإنسان، ليضَعهُ على منكبَيه، ليخدِمَهُ، ليشفيَ أمراضَه، ليُطبِّبَه روحياً وجسدياً وليس هذا فقط، بل ليملأ الإنسان من نورِه. بولس الرسول قال في الفصل الرابع من رسالتِه الثانية الى أهل

كورنثوس " الله الذي أمرَ أن يُشرق من ظلمةٍ نورٌ هو الذي أشرقَ في قلوبِنا لمعرفة مجد الله في وجهِ يسوع المسيح". أشرقَ نورُه في قلوبِنا، وصارت قلوبُنا مسكِناً للنور الالهي.

هذا غيرُ موجودٍ في العهد القديم. نعرف من العهد الجديد أن الروح القدس كان يوحي للأنبياء بالعهد القديم ولكنّه لم يسكن فيهم بينما في العهد الجديد يسكنُ نورُه فينا.

علّمتنا المسيحية أن المؤمنينَ جميعاً هم أعضاءٌ في جسد ربِّنا يسوع المسيح حيثُ كما قال بولس أيضاً لا رجل ولا إمرأة، لا عبدٌ ولا حرٌّ، لا يونانيٌّ ولا يهوديٌّ ولا شيء آخر بل الكل واحد في يسوع المسيح . هذا في غلاطية 3 – 28 ، كولوسي 3 -11 . الكلٌّ واحدٌ في يسوع المسيح.

في كولوسي وأفسس وتيموتاوس، العبدُ وسيِّدُه أخَوان، كلاهُما عبدٌ للرب، وكلاهما أخٌ أحدهما للآخر للرب يسوع المسيح. في رسالة بولس الى فيلمون، محبة بولس للعبد أونيسيموس رائعة وعلى المرء أن يُطالع هذه الرسالة وهذه النصوص، ليرى هذا الإنقلاب الجِذري في حياة المسيحيِّين. يُصبح العبدُ أخاً لسيِّدِه. ليست في الرابطة رابطة

خادم ومخدوم، هي رابطة خادم ومخدوم من جهة، ولكنّها رابطة أخ وأخ في المسيح من جهةٍ ثانية، والأُخوّة في المسيح هي أقوى من الأُخوّة في الجسد.

العبدُ والسيّدُ عُضوان أخَوان في السيد المسيح، مرتبطان في يسوع المسيح بالروح القدس الساكن فيهما. ولذلك، فأُخُوّة الجسد أصبحت واهية جداً بالنسبةِ للأخوّةِ في المسيح. في المسيح صار الأخُ عبداً لسيّدِه، ليسَ خادماً لسيّدِه إلّا ظاهرياً، أما في العمق فهو أخوهُ. كلاهما عضوٌ في جسدِ يسوع المسيح وبحسب الفصل 12 من كورنثوس الأولى وبأفسس ايضاً كلٌ منهما عضوٌ للآخر. نحن أعضاء بعضُنا لبعض، أي كلٌ منا موجودٌ في الآخرين، مرتبطٌ بالآخرين. هذا الإرتباط للبشر بعضِهم ببعض مهمٌ جداً.

علّمتنا المسيحيّة الزُهد بالعالم وبكل ما هو للعالم. علّمتنا أن يكون الايمانُ حيّاً فاعلاً متجلّياً في الأعمال لا ان يكون لفظاً فارغاً، ولذلك رأينا الشهداء يموتون أفراداً وجماعات من أجل هذه الديانة العظيمة. علّمتنا أن لنا رجاءً حيّاً بموجب هذا الرجاء. نحن نموت لنحيا من جديد. علّمتنا ان الموت هو بداية الحياة الجديدة، والحياة الجديدة هي

حياةٌ نورانية في ملكوت الله، ملكوت النور كما تقول الرسالة الى كولوسي.

علّمتنا المسيحيَّة أن يكون الناسُ أطهاراً بلا دنس روحٍ وجسد، أي بدون خطايا، والخطايا عديدةٌ جداً وبالمقابل الفضائل عديدةٌ جداً. مَن طالعَ العهد الجديد تعلّم منه الأخلاق السامية، وعرفَ الخطايا وعرَفَ الفضائل.

المسيحية علّمتنا فضلاً عن المحبة والإيمان والرجاء، علّمتنا الصبر وطول الأناة والوداعة والتواضع واللطف والصلاح والسلام والأُخُوَّة بين البشر، علّمتنا إحترام الآخرين، علّمتنا أن نرى في كلِّ إنسانٍ الربَّ يسوع وأن نحترم في كلِّ إنسانٍ الربَّ يسوع.

يسوع وبولس حذّرانا من إحتقار الآخرين. مَن يحتقر الآخرين يحتقر الربَّ يسوع نفسه، والإحتقار خطيئة كبرى وفيه تكبُّر، والكبرياء ليس سوى رجاسة.

علّمَنا العهد الجديد أن نصونَ أنفُسَنا من كلِّ إثمٍ. علّمَنا العهد الجديد أن الكَذِب شرٌّ كبير وأن الشيطان هو أبو الكِذب والكذَّابين.

علّمَنا أن نتجنّب المكر والخبث والخداع والغش. أن نتجنّب الإفتراء والتزوير والطعن في الآخرين والسُباب والشتائم والقدح والذم والنميمة.

علّمَنا أن نتجنّب الفواحش الجسدية وأن نتجنّب شهوات الجسد وأهواءه، أن نتجنّب السرِقة، أن نتجنّب كل ألوان الخطايا.

علّمَنا أن نحتمل بعضُنا أثقال بعضٍ وبذلك نُتمِّم شريعة المسيح في أن نحمل أثقال بعضنا بعضاً، أن نُشارك بعضُنا بعضاً في السرَّاء والضرَّاء.

علّمَنا الرحمة والشفقة، أن نحبَّ أعداءنا. فالمحبة الحقيقية تظهر في محبة الأعداء بالفعل لا بالكلام. بالخدمة لا بالمظاهر الفارغة. علّمَنا أن نتجنّب الرياء والنِفاق والتدجيل والمكايد.علّمَنا أن تكون الصلاة والصَدَقة والصوم طاهرات، والطهارة هنا تعني الخلوص لله من كلِّ عيبٍ. كان الفرّيسيون يعملون كلّ شيءٍ رياءً ونفاقاً، كلٌ أعمالِهم كانت حباً بالظهور.

الإنجيل علّمَنا أن نترك كلٌ ما هو سطحي. العهد الجديد علّمَنا أن البرَّ الحقيقي هو في العمق الداخلي الباطني في الإنسان، لا البرّ الخارجي الظاهري. الصَدَقة تكون في القلب أولاً لا في المظاهر، واللوحات،

والإعلان في الجرائد والمجلات والتلفزيونات والإنترنت. هؤلاء الذين يطلبون التصفيق من أجل كلِّ قرشٍ يدفعونه فهؤلاء يُخالفون الإنجيل. الإنجيل واضح. هو ضد المظاهر. الصلاة تكون في القلب الداخلي العميق، الصّدَقة تكون في القلب الداخلي العميق، الصوم يكون في القلب الداخلي العميق. لا يطلب المسيحيُّ مجداً من الناس بل يطلبُ مجداً من الله، هكذا علّمنا الربُّ يسوع المسيح.

علّمنا الربُّ يسوع المسيح له المجد أن نحترم كلّ إنسانٍ على وجه الأرض. كانوا العبيد مساوين للأدوات المادية، يُضرَبون ويُباعون ويُشتَرون ويُعامل العبد كحيوان، فتحوَّل العبدُ الى أخٍ. كان التَسرِّي معهوداً عند اليهود. فسُليمان تزوج 700 إمرأة وكانت لديه 300 سِرِيَّة. فجاءت المسيحيَّة تقطع دابر هذه المفسدة الكبيرة وتمنع تعدُّد الزوجات. فلا يجوز للإنسان أن يتزوَّج إلا مرَّةً واحدة. لا تعدُّد للزوجات في المسيحيَّة وتزوُّج الأرامل من نساءٍ ورجالٍ غيرُ محمودٍ في المسيحية، هو فقط للضرورة. فلذلك كانت الأرامل في عهد بولس الرسول تحتفظ غالباً بالترمُّل وبعد تجاوز الستين من العمر كان هناك نظامٌ للأرامل يُشبه الى حدٍ غير بعيد نظام الرهبانات. تُسَجَّل الأرامل

في اللوائح ويُعتنى بهنَّ، ومن الشروط أن لا تكون قد تزوَّجت إلّا مرّةً واحدة فقط، وأن تكون قد عاشت حياةً عفيفةً مستقيمةً صالحةً.

ومنذ عهد بولس الرسول إنتشرت البتوليَّة كما نرى في الفصل السابع من الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس، فترعرَعَت البتوليّة شيئاً فشيئاً حتى صار العسكر الروماني يعتدي على نسائنا لأنهنَّ عفيفات، وعلى بناتهنَّ لأنهنَّ عذارى. فكان الإضطهاد الروماني متبنّياً هذه الطريقة في إضطهادِنا. ولذلك في الرابع من أيار نُعيِّد للعذراء فيلاجيا الأنطاكية التي لاحقها العسكر الروماني فصعدت الى السطح وألقَت بنفسِها عن السطح وماتت لئلا يعتَدي العسكر الروماني على عفافِها. دافع المغبوط غسطين عن هذا الأمر، فإعتبرَه إضطهاداً إن كانت النساء والفتيات قد قاوَمنَ المعتدين حتى النَفَس الأخير و لم يتجاوبنَ.

الطلاق ايضاً كان متفشّياً في الدنيا كلِّها وكان لدى اليهود مذهبان في الطلاق. مذهبٌ يُضيِّق بعض الشيء ومذهبٌ يفسح المجال أمام الرجل أن يُطلِّق لأيِّ سببٍ كان. فكان جواب الربِّ على ذلك في إنجيلِ مرقس، لا يجوز للمُطَلِّق أن يتزوَّج ولا يجوز للمُطَلَّقة أن تتزوَّج وإلّا كان ذلك زِنىً. ولذلك نزَفَ الربُّ يسوع الأمر من الداخل. ما قال

إِن الطلاقَ ممنوع، بل قال لهم إن الزواج الثاني ممنوع والنتيجةُ واحدة. وهكذا إرتفعت قيمةُ النساء في العالم المسيحي وصارت المرأة محترَمة حتى صارت صدرَ البيت. فأقبَلَت النساء بكثرة على المسيحيَّة، ولعِبنَ في الأجيال الأولى دوراً كبيراً جداً في حياة الكنيسة.

الى جانب الشهداء ترَعرَعت فكرةُ البتولية، حتى نذرَ البعضُ البتولية وإنتهَينَ الى الأنظمة الرهبانية. نشأ النسكُ أولاً، والرهبانيَّة ثانياً حتى صارت الرهبانيَّة نظاماً كنسيّاً بإمتياز وتفوُّق كبير. وصارت الأديرة نماذج للحياة المسيحيَّة الراقية، وصارت الكنيسة الأرثوذكسيَّة على الأخص تنسحب على الأصول الرهبانية. فصلَواتُنا رهبانية بنسبةٍ كبيرة جداً. الرهبان غالباً هم الذين نظّموا لنا الصلوات والأناشيد الروحيَّة. تطوَّرت الأمور فتغلغلت المسيحيَّة في المجتمع. القديس العظيم باسيليوس الكبير طوَّق قاعدَتَه قيصيرية كابادوك بمدينةٍ أُخرى من المؤسسات، المدارس، دور العجزة والأيتام، الأديرة وسوى ذلك من المؤسسات، وتنبَّه آباء الكنيسة لوجود فقراء ومحتاجين يحتاجون الى العناية. رأينا الإنجيلَ نفسُه يهتمُّ بذلك ويُعلِّمنا أن نهتمَّ بالمحتاجين. الفصل 25 من إنجيل متى روعة من الروعات، كلُّ إحسانٍ الى البشر

هو إحسانٌ الى يسوع المسيح مباشرةً. وستقوم الدينونة في اليوم الأخير على أساس الإحسان والإحسان في نظر يوحنا فم الذهب وسواه هو روحيٌّ وجسديٌّ. الذين يهتمّون بالروح هم مُحسنون كِبار، والإهتمام بالروح أفضل من الأهتمام بالجسد دون إهمال الجسد.

يوحنا فم الذهب فضَّلَ الإِحسان الى الفقراء على الإِحسان الى الكنائس فقال، إذهب وقدِّم قربانَكَ على قلوب المحتاجين هذا افضل من تقديم ذبائحَك على مذابح حجرية.

في تعليقِه على حادثة المرأة التي سَكَبَت الطيب على رأس ربِّنا يسوع في بيت سمعان الأبرص الفصل 26 من إنجيل متى، نراه يقول هذا العمل هو جيِّد ولكن لو إستُشِرتُ انا في الأعمال، لفضَّلتُ الصَدَقة للفقراء على الأعمال الدينية الأخرى.

يوحنا فم الذهب وباسيليوس الكبير هما عاشقان كبيران للفقراء والمساكين والمحتاجين. وقبلُهما يسوع المسيح، وقبلُهما ايضاً بولس الرسول الذي علّمنا أن لا نحتقر الأخ الضعيف، هذا الذي مات المسيح من أجله. كلُّ الضعفاء إفتداهم المسيح، فهم مَفدِيُّو المسيح، فلا يجوز أن نحتقرَهم وعلينا أن نحترمَهم كما نحترم المسيح والرسل.

علّمَتنا المسيحيّة طهارة الحواس لا غسل اليدَين والرِجلَين والرأس وكل أنواع الغُسول عند اليهود، فهذا كلّه هو سطحي. الغسل الحقيقي هو الغسلُ الداخلي، غسلُ الروح بدمِ المسيح وتطهير الروح من النجاسات، من الخباثات، من اللؤم، من العلاوات، من الحسد ومن الغيرة.

الطهارة الحقيقيّة لا تكون في الحمَّام الأرضي إنما في الحمَّام السماوي، والحمَّام الساوي الحقيقي هو الإمتلاء من الروح القدس. كان اليهود في القرون الأخيرة قبل الميلاد يخشَون أن يذكروا إسم يهوى، وكان يصابهم الرعب من ذِكِر إسم الله، فيستبدلون ذلك ويستعملون ألفاظاً أُخرى كالقُدرة، والمقام وملكوت السماوات.

بالمسيحيّة صار الله أقرب الى الإنسان من قُرب الرأَس الى الجسد كما يقول فم الذهب. هو مُتّحِد بنا أكثر من إتّحاد نفسِنا بجسَدِنا كما يقول القديس نيقولاوس كباسيلاس.

كلّ شيءٍ في المسيحيّة إتّخذَ وجهاً جديداً. لم تعُد الأمور كما كانت أرضيّةً، صار كلّ شيءٍ سماوياً. صرنا نعرف أن ملكوت السماوات هو ملكوتٌ روحانيٌ نكون فيه كالملائكة. فاذن، في القيامة نحن

نتحوَّل تحويلاً جِذرياً، والجسدُ نفسُه يقوم ويتِّحد بالروح ويشترك في النور الالهي وفي المجد الالهي. هذا الكمال الروحي إنعكس في الأرض، فتحسَّنت أحوال الأرض كثيراً وتقدَّمت البشرية في كلِّ الميادين.

طبعاً ما كل المسيحيِّين قدِّيسون لأن حَبكة الخطيئة موجودة. لا نستطيع أن ندَّعي الطهارة المطلقة. جِهادُنا على الأرض جِهاداً مستمرّاً وهذا يحتاج الى معركةٍ روحيَّة طويلة ألأمَد تستمرُّ مدى الحياة حتى لحظة الوفاة. وليس كلُّ الناس على إستعدادٍ لخوض هذه المعركة. فإن رأينا فساداً هنا وهناك، فالفساد هو فساد.

ما كلُّ الناس يتحمَّلون الجهاد، ما كلُّ الناس يتحمَّلون عيشَ البتوليّة، ما كلُّ الناس على أَهبَّة الإستعداد أن يموتوا شهداء.

البشر معادن. ولكن المسيحيَّة هي رحمةٌ ولطفٌ وحنانٌ. تحتمل وجود تافهين وفاشلين وضعفاء على أساس أن نعمل لتكميلِهم. ولكن في العالم المسيحي قدّيسون لا نستطيع أن نُحصِيَهم لأن الله وحدَه يعرفُهم، القدّيس لا يضع إعلان في الجرائد والمجلات و... هؤلاء هم التافهون الذين يُحبّون أن يشهروا أنفسَهم امام الناس ليفتخروا

بمجدِهم الباطل. المؤمنون الحقيقيُّون يهتمُّون بأن تكون أعمالَهم الصالحة معروفة لدى الله لا معروفة لدى البشر.

الطريق طويلة وضيّقة، ولكن الله يعلم مدى إخلاص كلّ مؤمن مسيحي. الله وحده يعرف في خفايا القلوب والأفكار، ولكن لا تخلو الأرض من القدّيسين والأبرار والصِدِّيقين ومحبّي الأعمال الصالحة.

أما بالنسبةِ الى الجسد فهو مُعَدٌّ لأن يصيرَ روحانياً. هو مَسكنٌ للروح القدس، وأعضاءُ جسَدِنا هي أعضاءُ جسدِ المسيح. فلا يجوز أن يصير أعضاءَ زانيةٍ، ومَن إلتصقَ بزانيةٍ فقد لوَّثَ جسد المسيح. ولا يجوزُ قتل جسد الإنسان، ولا يجوز الإنتحار، ولا يجوز أن نُخرِّبَ الجسد بالأطعمة والأشربة. نُغذِّي الجسد لنجعلُه يحمل نشاطَنا الروحي والعقلي والعمَلي. أما التُخمة فممنوعةٌ، والسُكرُ ممنوعٌ والزِنى ممنوعٌ، وإرهاقُ الجسد ممنوعٌ. يجب أن لا نُحمِّلُه فوق طاقتِه، علينا أن لا نُتلِفَهُ، علينا أن نحترمَه لأنه مسكِنٌ للروح القدس.

وبالنسبة الى اللباس فالكنيسة تدَّخلت بذلك. بولس الرسول وبطرس الرسول نصَحا النساء بأن تكون زينتهنَّ زينةً محتشمةً، أن يكون لباسهنَّ لباساً محتشماً. هذا يعني أن يكون مظهر النساء مظهراً لائقاً

دينياً أي أن لا تصيرَ النساءُ فنّانات وراقصات بل أن يكون لباسُهنّ لِباسَ النساء القِدّيسات. نصَحهما الرسولان بالزينة الروحيّة.

رسالة بطرس الرسول الأولى واضحة. طلب بطرس من النساء أن يعتَنينَ بالإنسان الباطني وإستعملَ العبارةَ التالية " إنسانُ القلب الخفيُّ " أي أعمق أعماق الإنسان. وإستعمال هذه العبارة للنساء يدلُّ على أن النساء قادراتٍ على أن يصِرنَ قدّيسات لأنهنّ قادرات على الحب الالهي بما هَباهُنّ الله بعواطفٍ إنسانية.

فلولا الأم لما عاش إنسانٌ على وجه الأرض. هل نستطيع أن نتصوّر الإنسانَ يخرجُ من بطنِ أُمّهِ كالحيوان فيتدبّر أمورَه كالحيوان؟ هذا مستحيل. بدون الأم والأهل لا تقومُ حياةُ إنسانٍ واحدٍ على الأرض. فحياتُنا مرتبطة بعناية الأمهات، وهذا يتطّلبُ العطف والحنان واللطف والمحبة والمعاملة الحَسَنة. هذه الصفات تؤهِّل المرأة لأن تكونَ قدِّيسةً متعلِّقةً بالله، توجّهُ عواطِفَها الى الله، فتُحِب الله كما تُحبُّ بنيَنها. وإن أحبَّت الله كذلك، صارت قدّيسةً. فاذن القداسةُ معروضةٌ على النساء ويبقى عليهُنّ أن يتحوّلنَ الى شهيدات الحب الالهي. والنساءُ اقدرُ على ضبط النفس والسيطرة عليها وعلى البَتولية وطهارة السيرة. كل الناس

يعرفون أن العِفّة هي في الأساس عِفّةُ النساء ومَن لا يحترم الصبية العفيفة والزوجة العفيفة؟ وأيُّ بيتٍ لا يفتخر بعِفّةِ بناتِه وزوجتِه وأُمِّه؟ العنايةُ بالأطفال تتطلّب الزوجة الأمينة الوفيّة العفيفة التي ينصبُّ قلبُها على بنيها لا على ملذّاتِها. إنصرافُها الى أطفالِها يُنسيها الزوج والطعام واللباس والزوج وترتيب المترل.

أما الرجال، فمُطالبون أيضاً بالعناية بأجسادِهم. أن يكون سلوكَهم الجسَدي سلوكاً فاضلاً، مُقدَّساً، مُحتشماً أي أن يكون بعيداً عن الفساد والإنحلال الأخلاقي. فقداسةُ الجسد جزءٌ لا يتجزّء من قداسة الروح، لأن الجسد سيقومُ في يوم القيامة ويصيرُ روحيّاً سماويّاً كَجسدِ المسيح يومَ قامَ من القبر.

هذا التحوُّل هو جِذري في جسدِنا، يطلبُ مِنّا أن نكون على الأرضِ ملائكةً في أجساد. رَوحَنَة الجسد جزءٌ لا يتجزّأ من إيماننا المسيحي.

يجب أن تتأصّل فضائلُنا الروحيّة في جسدِنا، أن تتحوّل شهواتُ الجسد الى شهوات الروح. القدّيس يوحنا السُلّمي قال " نَطرُدُ عُشقاً بعُشقٍ ". أي نَطرُد عُشقَ الأجساد بالعشق الالهي، فيتحوّل عشقُنا الى الأجساد الى عشقٍ الهي.

ولذلك، الزواج المسيحي هو مقدّس لأن الزوجَين المسيحيّين يعيشان مقدّسَين، يُقدِّسان جسدَيهما فلا يكونُ إفراطٌ ولا إنحرافٌ. المسيحيّةُ تجلّت في الصلوات الكثيرة، وفي طقوسٍ رائعة، وفي شعرٍ دينيٍّ سماويٍّ رائع. تجلّت في أيقونات هي غايةٌ في الإبداع الفني. وفي الكنيسة الأرثوذكسية الأناشيد الدينية والأيقونات التي تلعبُ دوراً كبيراً في روحانيّة الأرثوذكس. صلواتُنا روائع فنيّة روحيّة. أيقوناتُنا غايةٌ في الإبداع الفنّي، توحي التقوى والعبادة والسجود والشكر لله على كلِّ شيء.

غايةُ الإنسان المسيحي هي التوجُّه بكلِّ قواه الى الله. هي السّعي بكل قِواه الى الإمتلاء من الروح القدس وفي النهاية الى الإستنارة كما ظهرَ يسوع المسيح على جبل التَجلّي، أن نمتلىءَ من النور الالهي روحاً وجسداً. فتجلّي الرب يسوع على جبل التَجلّي هو صورةٌ عن مصيرِنا في الآخرة، أي أن نتجلّى بالنور الالهي ونعيش بالنور الالهي، وملكوتُنا هو ملكوت النور. آخرَتنا هي أن نكون كالملائكة عائشين في النور الالهي، نُسبّحُ الله ونباركُه ونشكرُه على الدَوام عائشين في غبطةٍ أبديةٍ لا نهايةَ لها، وفي فرحٍ سماويٍّ لا يوصَف، وفرحُ الأرض هو شيءٌ هزيل

بالنسبةِ الى فرَحِنا في الآخرة. كلُّ سعادةٍ على الأرض هي باطلة وفانيَة ومؤقّتة، أما سعادتُنا في السماء فهي السعادة المطلَقة الأبديَّة.

في النهاية، حضارة المسيحيَّة هي حضارة الروح. والروح هي أهم من الجسد بما لا يُقاس. لا نستطيع أن نُقارن بين الروح والجسد. الروح صورةُ الله. الجسد شريكٌ في هذه الصورة ولكن الروح أسمى من الجسد بما لا يُقاس.

لا خَلاصَ للجسد بدون الروح. حياتُنا الروحيَّة هي التي تُخلِّصُ الجسد. يسوع قال لا تخافوا من مَن يقتُل الجسد، بل من مَن يستطيع أن يُهلك الروح والجسد معاً في جهنَّم.

ولذلك المسيحية هي الثورةُ الكُبرى في تاريخ البشرية. فقد حوَّلت إهتمامات الإنسان من الأرضِ الى السماء. نُطعمُ الجسد، ونسقي الجسد، ونكسو الجسد بالقدَر الضروري لإستمرار الحياة، والباقي يكون للحياة الروحيَّة. الإنهماك بالأمور الجسدية يقتلُ الروح.

الإنجيل واضح، العهد الجديد برمَّتِه واضح. يسوع قال " أطلبوا أولاً ملكوت الله وبِرَّهُ وكلُّ ذلك يُزاد لكم "، المهم هو الملكوت الأبدي.

الديانةُ المسيحية بدأت بدعوةٍ الى التوبة. كان يوحنا المعمدان يُعرِّفُ الناس ويُدرِّبهم التوبة لإستقبال يسوع المسيح. ويسوع نفسُه دعى الى التوبة. وخطاب بطرس يوم العنصرة دعوةٌ الى التوبة والى غسل القلب.

التوبةُ المسيحية هي تحوّلٌ جذريٌّ في حياة الإنسان، لينقلبَ من إنسانٍ تُرابيٍّ الى إنسانٍ سماويٍّ. هذه هو الخَلاصَ. نتحوّل من بشرٍ تُرابِيّين يعيشونَ لجسدِهم، الى أُناسٍ سماويِّين يعيشون لله ولأرواحِهم لتفوزَ بالله.

لله الحمدُ والشُكرُ على هذه الديانة التي ترفَعُنا من الأرضِ الى السماء، وتنقُلُنا من الموتِ الى الحياة، وتُقيمُنا من العجزِ والضعفِ والكَلَل، الى الإمتلاء من الروح القدس.

المسيحيَّة هي تحوُّلٌ كاملٌ في تاريخ الإنسان وتاريخ البشرية. وإن كان البعضُ عاجزين عن التحوُّل وهم ضُعفاء، فالضعف ليسَ ضُعف الديانة بل هو ضُعفُ الإنسان. الإنسان يميلُ الى الشر منذُ حداثَتِه كما في الفصل الثامن من سفر التكوين. هذا الميل الى الشر يجب أن ينقلِب ويصيرَ ميلاً الى الخير. عشق الأرض يجب أن يتبدّل ويتحوّل الى عشقِ

الاله. هذه العمليّات تحتاج الى جهادٍ روحيٍّ مرير. الى تحوُّلٍ كامل في أهوائنا، في ميولِنا، في رَغباتِنا، في شهواتِنا، في كلِّ أمورِنا.

المسيحية هي الخليقة الجديدة. نمشي على الأرض وكأننا نمشي في السماء، عقولُنا في السماء وأرجُلنا على الأرض. نسيرُ على الأرض بصورةٍ مؤقّتة، نعيشُ على الأرض بصورةٍ مؤقّتة. نحن مسافرون غُرَباء في الأرض نطلب الوطن السماوي.

وطنُنا الأرضي هو مؤقّت، أما وطَنُنا السماوي فهو أَبَديٌّ. العجز في اللحاق بوطننا السماوي هو عجزُ الطبيعة البشرية الضعيفة الخاطئة، لا ضعف المسيحيَّة. واذا كنا نعامل البشر بالرحمة بالشفقة، بطول البال وبطول الأناة والرِفق فذلك لكي نرفعهم تدريجياً الى الله.

بولس الرسول علّمَنا، إحملوا بعضكم أثقال بعضٍ هكذا تَتِمُّ شريعة المسيح . البشر مُتضامنون، المسيحيُّون أعضاء في جسد المسيح وليسوا أفراداً ضائعين في هذا العالم. لا أنانية لا فرديَّة لا حسَد لا إنعزالية لا كسل لا رخاوة لا إتّكالية لا عدم مبالاة في المسيحيَّة.

المسيحي الحقيقي يُقيم في الرب يسوع متلألئاً بالروح القدس، وعائشاً للثالوث القدّوس لا لنفسِه، له المجدُ والإكرام والسجود الى أبد الآبدين ودهر الداهرين آمين.